المجتمع المدني بين "التطوع" و"التبرع"!!

د. عبدالرحمن محمد الشامي

□ .. أحسب أني كنت محظوظا بالجلوس إلى جانبها مباشرة على طاولة الطعام التي جمعتنا من بلاد الله العديدة: الشقيقة والصديقة وحتى "غير الصديقة، وحدنا جميعا نبل الهدف العلمي الذي أتينا من أجله بغية الاستزادة من العلم والتعرف على أساليبه الجديدة في بلد يقدم للإنسانية كل يوم جديداً في هذا المجال. قعدنا سويا على طاولة العشاء في تلك الصالة الوثيرة المخصصة لكبار الضيوف والزوار وفي مناخ من التعارف والتآلف الإنساني في إطار جو فني وثقافي في إحدى لحظات الزمن التي تعلق في ذاكرة الأيام، مستمتعين بضيافة الناس المهمة أو كما يطلق عليه بلغة "الفرنجة" «VIP» فى حين أنا لا نعدو أن نكون طلاب علم يبتغون الاستزادة المعرفية.

كان "العشاء" هو الفقرة الثانية في "جدول" اللقاء الشهري المحكم الإعداد في بلد يجل أفراده الالتزام ويقدسون المواعيد حتى لقد غدت كالحتمية أو المسلمة في جميع شئون حياتهم اليومية وما عداها شذوذ عن القاعدة وخروج على المألوف المرفوض مجتمعيا، وقد خصصت هذه الأمسية لزيارة "متحف الفنون الجميلة"، الذي أمضينا فيه جولة استمرت ساعة كاملة لم نتمكن خلالها سوى من زيارة "بعض" صالاته الواسعة والمشيدة في دورين على مساحة شاسعة، إضافة إلى الدور أسفل الأرضي، ويضم "المتحف" بين جنباته دررا من الإبداع الفني والحضاري الذي أضحى كنوزا تمثل مختلف المشارب وتعكس أشهر المذاهب الفنية وأبرز مواطن الفنون الجميلة، المعبرة عن فترات زمنية مختلفة، غير أنها وزعت هنا على نمط فريد وعلى غرار غير مسبوق باعتبار طابعها العام، ومعانيها التعبيرية الكلية بصرف النظر عن الفترات الزمنية التي تعبر عنها، أو المكان الذي أتت منه هذه الأعمال التي هي فعلا –كما يصفها مرافقنا في الجولة الفنية– إحدى "الكنوز" الزاخر بها هذا المتحف والذى لا يعدو أن يكون سوى قطرة في بحر من التراث الفني والحضاري الذي تزخر به "الولايات المتحدة الأمريكية" باعتبارها موطنا يهتم بالعلم والمعرفة ويثمن كثير من أفراده الفن غاية التثمين ويقبلون على الثقافة، فهذه "اللوحة" –وفق رواية محدثنا الذي تستشعر في كل كلمة من حديثه مدى ولعه الجم وحبه المفرط للفن وإيمانه به، فهو المعتز في غير تكبر بالحديث عن لمساته المتميزة في هذا الصالة، وباختياره مكان وضع هذه اللوحة إلى جانب تلك، حتى ليستهل حديثه عن أي عمل فني بعبارة "أنظروا إلى هذا الكنز هنا"، نعم إنها كنوز لا يعرف قيمتها إلا متذوقو الفن الراقي ومحبوه، ومن ثم فلا غرابة –وفق رواية "فريديريك"– أن يستغرق العمل في تعليق لوحة كبيرة الحجم "سنتين" بالتمام والكمال، نظرا لعدم إمكانية إدخالها عبر باب صالات المتحف؛ وعليه فلم يكن هناك بد من تفكيكها كاملة وإعادة تركيبها مرة أخرى وهو ما استغرق كل تلك المدة الزمنية! أما هذه الصالة الواسعة التي تبدو وكأنها بهو في قصر مشيد، أو صالة في فندق ضخم فقد كلف تشييدها وإعدادها على هذا النحو "مليون دولار أمريكي" –نعم مليون دولار– أتى هبة من "سيدة أمريكية" تخليدا لذكرى زوجها بعد وفاته!!

على طاولة العشاء بادرتنا السيدة "ماريا روز" الحديث بعد ترحيب مقتضب بالضيوف بقولها "إنها تنتمي إلى العصر الذي كان فيه محظور على النساء الالتحاق بالعمل"، وهي تعمل "متطوعة" في هذا "المتحف" منذ أربع سنوات، كما أنها عضو في مجلس إدارته، وهي سعيدة بهذا العمل، وتشعر أنها تحقق فيه ذاتها وتجد فيه نفسها وأنسها لحبها للفن وعشقها للعمل العام، فضلا عن تقديمها شيئا يعود بالنفع على مجتمعها.

"ماريا روز" سيدة تبدو في العقد السابع من عمرها، ولكنها حاضرة البديهة، رصينة العبارة، رشيقة التعبير، كرشاقة مظهرها وأناقة ملبسها، ويعود ذلك إلى تميز الرعاية الصحية الخاصة بالأفراد مما أدى إلى إطالة متوسط العمر، وخفض معدل الوفيات، ورافق ذلك ظهور أمراض الشيخوخة في بعض أفراد "المجتمع الأمريكي"، والمتخصص في واحدة من أشهرها "عالم يمني أمريكي" أحرز تقدما كبيرا في البحث في هذا المجال، وتلك "حكاية" أخرى ربما أتينا عليها يوما ما.

وفي لحظة تأمل مع الذات؛ قلت في نفسي لا شك أن هذه السلوكيات تعد واحدة من الأسرار الكثيرة التي تقف وراء نهضة هذا المجتمع، وفي اقتفاء أثرها فائدة أحسب أنها تعود بالنفع على مجتمعنا الذي ما أحوجنا فيه إلى توحيد الصفوف وتوجيه الجهود، فهم بذلك قد وضعوا أيديهم على جانب من قدرات الإنسان العديدة، ووجدوا لكل شخص مكانا، في استغلال واضح لكل قدرات هذا الإنسان، الذي ينبئ كل شيء صغير وكبير هنا عن الاهتمام به والإعلاء من شأنه؛ بدءا من تنظيم حركة السير اليومية وانتهاء بالمعركة الدائرة حاليا حول "الضمان الاجتماعي"!

أما المتحف فهو "منظمة خاصة" لا تهدف إلى الربح –يقابلها باللغة الإنجليزية مختصر «Org» لتميزها عن مؤسسات القطاع الخاص الرامية إلى تحقيق المكسب المرتفع–، كما أنها ليست "حكومية" يصرف عليها من الخزانة العامة للدولة في بلد قال "وزير خارجيته الأسبق "جيمس بيكر" يوما في معرض إجابته على أحد الأسئلة الموجهة إليه "إن الرئيس "بوش" –الأب– لا يستطيع أن يوقع شيكا بمبلغ "عشرة دولارات" دون الحصول على موافقة الكونجرس"!!.

ولما كانت هذه "المؤسسات غير الحكومية" توحي بسمو الهدف ونبل الرسالة فإنها تجد الدعم السخي –أحيانا– من المجتمع الذي يشعر أنها تقدم له خدمة روحية هامة، وتؤدي نيابة عنه رسالة ثقافية، ومن أجل ذلك فالمتحف لا ينسى أن يخصص يوما في الأسبوع للدخول المجاني، تشجيعا منه لغير القادرين والناشئة على الحصول على المتعة الفنية والتزود بالثقافة الراقية والتعرف على التراث الإنساني، مع كتابة عبارة على "الصندوق" القابع عند المدخل الرئيس للمتحف "تبرعك موضع تقدير عظيم منا" والتبرع هنا قد يكون "دولارا" أو "دولارات" معدودة وليس بالضرورة أن يكون على غرار سخاء السيدة الآنفة الذكر.

> □ إن هذه السلوكيات تعد واحدة من الأسرار الكثيرة التي تقف وراء نهضة هذا المجتمع، وفي اقتفاء أثرها فائدة أحسب أنها تعود بالنفع على مجتمعنا الذي ما أحوجنا فيه إلى توحيد الصفوف وتوجيه الجهود، فهم بذلك قد وضعوا أيديهم على جانب من قدرات الإنسان العديدة.

في تقديري المتواضع أن هذا يعد أحد النماذج الحقيقية للأعمال المجتمعية الطوعية التي تتميز بها المجتمعات الحديثة من أفراد نبلاء مشتغلين بالعمل في مؤسسات المجتمع المدني التي تسعى إلى سد احتياج ملح فيه، وتقديم خدمة لأفراده، وليس على غرار ذلك الفهم القاصر المتبادر إلى بعض النفوس الشرهة والمتهافتة على الكسب المادي، ممن يقدمون على أنماط من العمل المدني لا إيمانا برسالته أو حبا فيه؛ ولكن لأنها من واقع دوافعها المريضة ترى فيه فرصة سانحة للحصول على "دعم" داخلي أو خارجي يصب في نهاية المطاف في الجيوب والخزائن الخاصة، أو للإنفاق البذخ في إساءة واضحة للعمل المدني الذي قام بدور جليل ارتقى إلى مستوى دور الدولة إبان غيابها في دولة كـ"لبنان" خلال حربها الأهلية!

وما بين "السيدة" التي تبرعت بسخاء و"الأخرى" التي تتطوع بتفان دار في ذهني عدد جم من الأسئلة؛ أبرزها أن هذه سلوكيات هي من صميم ديننا الإسلامي، الذي يحض عليها ويجزل المثوبة والأجر لفاعلها، حتى لتغدو نبعا متجددا للمثوبة بعد فناء الإنسان وانقضاء أجله، فهي الصدقة الجارية بعد انقطاع عمل "ابن آدم" بموته، وهو ما ترجمه بعض أفراد السلف الصالح بـ"الوقف" الذي كثيرا ما سطا عليه بعض "نظاره" أو أهمل حقه الأوصياء عليه، في غيبوبة دينية أو موت ضمير، أما السلوك الآخر فهو "فضل الظهر والزاد.." الذي حث النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم– على الجود به ممن يملكه على من لا يملكه ولا يجده.

تلك هي زاوية ضوء متناهية الصغر على إحدى سمات المجتمعات الناهضة المنشغلة دوما بالعمل على كل ما من شأنه الإعظام من هذا النهوض، ومن ثم فإن لكل فرد فيها كائنا من كان جانب من العطاء، ولديه ما يقدمه لغيره، مجتمع يتميز أفراده بروح المبادرة والمبادأة وليس بمجرد الانتظار البليد لأن يعمل لهم الآخرون كل شيء، متلذذين بالإغراق غير المنتهي في الانتقادات غير المبررة من تلك التي تهدم ولا تبني!

فمتى ينفض هذا الإنسان غبار الكسل عن نفسه ويدرك مهما كان وفي أي مرحلة من عمره أن لديه شيئا يحتاجه غيره ويمكنه تقديمه له ويسد احتياجا لديه، فـ"العصر هو العصر... والإنسان هو الإنسان...نفس الأرجل...نفس الأيدي..نفس الأقدام..فلماذا يا وطني إنسانك لا يمشي وله قدمان...ولماذا ليس يرى وله عينان؟ –على حد تساؤل الأديب الدكتور/عبدالعزيز المقالح– والمهم في من يكتشف هذه القدرات لتلبية تلك الاحتياجات.

alshami@bu.edu

آفاق

إذا كشف الزمان..!!

■،، المعركة الحامية الوطيس التي جرت في البرلمان الصومالي الذي لا يزال في المنفى بكينيا تؤشر لمستوى الوعي في العقل السياسي العربي عموماً والذي لم يغادر العصبية والمواقع القبلية إلى القبول بالآخر وتفهم المصالح المشتركة ووضع السياسة في إطار الوطن الواحد وليس الوطن الواحد في إطار السياسة الضيقة الخاصة بفئة أو جماعة أو قبيلة أو حزب أو أصحاب هوى.

لا بأس أن يختلف ممثلو الشعب فتتطاير الآراء بدلاً من الكراسي، ولا بأس أن يلوحوا بأيديهم في الهواء غضباً بدلاً من العصي التي تنهال على الرؤوس تكسيرا، ومع ذلك فربما تعلموا من هذه المهزلة أكثر مما تعلموه من النفاق الساسي السائد في الوطن العربي مصحوباً بتبويس اللحى التي لا تربط محلولاً ولا تحل مربوطاً، مهما قال أهل الحل والعقد.

وفي العالم الماضي كانت القمة العربية مسرحاً لمشادة عنيفة على مستوى الألفاظ والنفوس المتقرّحة من أثر الضغوط العنيفة، ولا تزال عقابيل تلك المشادة تُترى فصولاً، فقد انتقل الخلاف العلني إلى محاولات تصفية في الظلام متجاوزاً الخطوط الحمراء في العلاقات بين الدول، والموضوع برمته منظور أمام القضاء وتحت الأضواء الدولية الكاشفة، وهو يوتر منذ اللحظة أجواء القمة القادمة فقد طفا إلى السطح، وخرج عن إطار الوساطات التقليدية التي تقول: هنا حفرنا وهنا دفنّا وعفا اللّه عما سلف.

فضل النقيب

ولعل القراء الكرام لاحظوا في الآونة الأخيرة الحديث المتواتر عن قرارات مطلوبة من القمة العربية على أن تكون قابلة للتنفيذ ، ذلك أن العرف السياسي العربي قد درج على الإنشاء ولا شيء غير الإنشاء ، وبمجرد أن ينفضّ السّامر تنام شهرزاد لتخترع حكاية جديدة للسّامر القادم في مسلسل ألف ليلة وليلة الذي يعاد إنتاجه منذ مائة عام دون أن يتعظ أحد «وما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزئون».

وأمام القمة التي نرجو أن تكون هادئة ومُصانة من القذف مفترق طرق لا ينبغي الوقوف دونه والذي تلخصه عبارة شكسبير الشهيرة: أن تكون أو لا تكون. ذلك هو السؤال.

بقليل من إعمال العقل وتفعيل الإرادة السياسية ونبذ الخلافات الصغيرة جانباً وتنحية أساليب الغش في اللعب بالثلاث ورقات يمكن للقمة العربية أن تنقل العرب من حال إلى حال وأن تُغيّر صورتهم أمام العالم المندهش من هذا العملاق المتحرك بسياقين من الفخار، أو على حد تعبير العقاد «يدٌ من حديد في ذراع من جريد»، لقد حصحص الحق ووصل إلى الاسماع نداء عنترة:

إذا كشف الزمان لك القناعا
ومد إليك صرف الدّهر باعا
فلا تخش المنيّة والتقيها
ودافع ما استطعت لها دفاعا

بعد مائة عام

□ .. كيف نتخيلُ الحياة بعد مائة عام؟.. ليس الزمانُ وحدَه الذي تنطوي أيامه بتعاقب الجديدين (الليلُ والنهار)، بل المكانُ أيضا، ينمو ويتبدل، ويتغير شكله، بفعل التعمير والتدمير.

وكيف ستكونُ الحياة في المائة الثانية القادمة من الألفية الجديدة؟.. أجزمُ أنه لن ينعمَ بالحياة بعد قرن من الزمان ممن يعيشُ الآن بيننا ويتنفسُ معنا الهواء، ستتخلق أجيالٌ جديدة، وأولئك هم الذين سينعمون بها.. ما أقصرَ عُمْر الانسان قياسا بطموحاته التي لا تنتهي وأحلامه الكبار.

● وإذَن بعد مائة عام فقط سَنكون في ذمة الله، وأحفادُنا هم من سيتمتعُ بنعيم العيش، سيدركونَ ما لم ندركه، وستتطورُ العلوم التكنولوجية، وستحدثُ ثورة جديدة في علوم الحاسوب، والرقميات، والفضائيات، وحتى المواصلات ستحدثُ وسائلها، السيارات سيتغيرُ شكلها، وقد تستغني عن البنزين، وسيتمكن العلماءُ من رسْم شوارع أثيرية في الفضاء لا تتعارضُ مع المجالات الجوية التي تسبحُ فيها الطائرات، مفاجآتُ المستقبل لا تنتهي، ما دام الانسانُ قادرا على التفكير والابداع، لذلك سينعمُ أحفادُنا بنعيم العلم التكنولوجي أكثر منا.

محمد الحضرمي

● لا مُعارضة لسنن الحياة، إذ لا أحدَ يخلدُ في هذه الدنيا، ولا أحدَ يأخذ أكثر من حقه، وليس الموتُ بحد ذاته مُفجعا، المفجع في الأمر هو فقدان التطور العلمي والمعرفي بانقضاء الأجل المحتوم، ألا نقول لمن مات أنه خسر عمره؟.. بمعنى أنه خسر فرصة من فرص المعرفة، كما خسرها أسلافنا من قبل.

● بعد مائة عام فقط لن تبقى نفس حية تعيشُ بيننا الآن، ومن كتبَ له طول العُمر فهو في عداد الأموات، فما بالكمَ بالقرون القادمة، سيتغيرُ شكلُ المدينة الى شكل آخر.. الجبالُ الشامخة لن تسلمَ من تعميرها بتدميرها، وعلى سفوحها ستشيدُ مدنٌ حديثة، أو تزرع محطاتٌ علمية، وستتغيرُ مجاري الأودية لتسيرَ في أنفاق أسمنتية خاصة، وقد لا يجدُ أحفادنا شجرة (غاف) يستريحون تحتها كما نجدها الآن، كما لن يستمتعوا بموسيقى هدير الوادي، وربما لن تبقى دروب مترية يركض فيها أحفادنا حفاة كما ركضنا وتلونا بفتاتِ مِسْكها ونِثار صندلها.

● بعد مائة عام يبقى الإبداعُ الأدبي والفني روحا تتجدد فيها الحياة باستمرار، ستبقى أناشيدُ الأدباء، وروائعُ الفنانين مضيئة كالنجوم في الدياجير، وستبقى شجرة الشعر نضرة، تثمر حبا في المواسِم الخصبة بالعشق.

لبنان بعد اغتيال الحريري!!

د. عبدالحميد الموافى

□ .. بالتأكيد هناك من القيادات من يستحقون التقدير والاعتراف بمكانتهم الرفيعة في أوطانهم ولدى شعوبهم، كما يستحقون أن تذرف الشعوب عليهم الكثير من الدموع عند رحيلهم سواء لعطائهم المخلص لشعوبهم، أو لدورهم الحيوي في الأخذ بيد هذه الشعوب وقيادتها والعبور بها مخاطر سياسية أو أزمات اقتصادية أو تدهور اجتماعي أو حاضر خانق لسبب أو لآخر.

ومن المعروف ان رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري كان من هذه النوعية من القيادات النادرة التي تتمتع بحب حقيقي من جانب شعوبها. لم يكن رفيق الحريري مشروعا خيريا أو مؤسسة مال واعمال قدمت الكثير لتعمير بيروت، ولم يكن مجرد رئيس وزراء نجح في حفر مكانه على الساحة السياسية اللبنانية بذكائه ومهارته السياسية واعتداله قبل أمواله، ولكن رفيق الحريري كان مشروعا لمستقبل لبنان، كان رؤية معتدلة تسعى لجمع اللبنانيين معا من اجل غد افضل. كانت لديه الشجاعة والقدرة على الاختلاف، كما كانت لديه القدرة على مد الجسور مع كل القوى الأخرى بمن فيها الذين لا يتفقون معه في الرأي أو الذين يبتعدون عنه في رؤاهم السياسية لهذه القضية او تلك. ومن هنا تحديدا كان الشعور اللبناني العميق بخسارة فادحة عندما استفاق على عملية اجرامية لاغتيال الحريري أو بالأحرى اغتيال مشروع المستقبل المرشح لالتقاء الكثير من اللبنانيين حوله. كما شعر الكثيرون خارج لبنان بخسارة الحريري ليس ارتباطا بشخصه ولكن ادراكا لمدى الخسارة اللبنانية بفقده.

على أية حال فإنه من الأهمية بمكان الاشارة باختصار شديد إلى ما يلي:

..أولا: انه بالرغم من ان لبنان دخل مرحلة جديدة من حياته السياسية عقب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحرير في ١٤ فبراير الماضي، وهي مرحلة ستؤثر بالضرورة وإلى حد بعيد على حاضر لبنان ومستقبله كذلك، إلا أنه من الانصاف القول بأن ما يمر به لبنان منذ نحو ثلاثة أسابيع لا يعود فقط إلى اغتيال الحريري. لأن اغتيال الحريري كان المناسبة والحدث الذي فجر تيارات الغضب المكبوتة في عدد من الأوساط اللبنانية. ولأنه كانت هناك عوامل عديدة أخرى لهذا الغضب المكبوت، فقد جاء ما حدث على هذا النحو بتفاعلاته وتسلسله المتتابع وعلى نحو ما يزال يتواصل في تتابعه وهو ما قد يقود إلى تطورات.

..ثانيا: لم يكن مصادفة على أي نحو ان يشير الرئيس السوري بشار الاسد بمسؤولية رجل الدولة وبصراحة بالغة إلى حدوث بعض الاخطاء المصاحبة للتواجد السوري في لبنان، وإلى ان العلاقات السورية اللبنانية لن تكون ضحية اخطاء بعض السياسيين. وفي نفس الوقت وبنفس الشعور العميق بالمسؤولية قرر الرئيس السوري أن سحب القوات السورية من لبنان لن يعني ابتعاد سوريا عن لبنان، ولكنه سيمثل فرصة للعمل بحرية اكبر وفعالية اكثر لحماية المصالح السورية – اللبنانية المشتركة.

ولأن الرئيس السوري يدرك جيدا ابعاد ما يجري ليس فقط على الصعيد اللبناني ولكن ايضا على المستويين العربي والاقليمي فإن القرارات التي اتخذها المجلس الاعلى اللبناني – السوري الذي عقد امس الاول في دمشق سواء بشأن سحب القوات السورية من لبنان إلى منطقة البقاع أو بشأن اجتماع اللجنة العسكرية المشتركة بين البلدين لدراسة المرحلة التالية بما في ذلك حجم ومدة بقاء القوات السورية في البقاع، أو بشأن تفعيل المجلس الاعلى السوري – اللبناني في الفترة القادمة، هذه القرارات تعبر بوضوح عن الرؤية السورية اللبنانية – على المستوى الرسمي – لافق العلاقات بين الدولتين خلال الفترة القادمة وآليات الاستجابة للضغوط الراهنة التي تتعرض لها سوريا.

..ثالثا: انه في الوقت الذي تواصل فيه المعارضة اللبنانية تحركاتها سواء على المستوى الشعبي أو من خلال وفود رسمية تقوم بزيارة عدد من العواصم الاوروبية – بروكسل وباريس وموسكو – لشرح وجهات نظرها، فإن قرار القوى السياسية المؤيدة للحكومة اللبنانية والتي عبر عنها امين عام حزب الله بتنظيم مظاهرات في ميدان رياض الصلح أمس كبداية لتحرك شعبي معادل لتحرك المعارضة قد أثار قلق الكثيرين في داخل لبنان وخارجه خوفا من حدوث تصادم أو احتكاكات بين المتظاهرين المؤيدين للمعارضة والمؤيدين للحكومة.

ومع زيادة حدة الاستقطاب على المستويين الشعبي والسياسي، وفي ظل المخاطر العديدة لذلك على توزيع الاتهامات على هذا الجانب أو ذاك، والتأكيد على أهمية وضرورة الالتقاء والحوار بين كل الاطراف اللبنانية معارضة وموالاة من اجل التوصل إلى اتفاق حول ما يمكن عمله للخروج بلبنان سالما. وحول إعادة صياغة العلاقات السورية – اللبنانية بما يخدم ويعزز العلاقات بين الدولتين والشعبين الشقيقين وبما يؤدي إلى الكشف عن المتورطين في حادث اغتيال الحريري. فهل سيتمكن اللبنانيون من السير بأمان وسط حقل الالغام الذي يغطي ساحتهم؟، الاغلب انهم سينجحون إذا حصلوا على الفرصة لصياغة حياتهم وتحديد أولوياتهم وفقا لمصالحهم ودون أي تدخل خارجي في شؤونهم، فهل يحصلون على هذه الفرصة؟ وإلى أي مدى؟

● كاتب عربي

عالم من دون الغام !

جمال إمام

□ .. بحلول عام ٢٠٠٩ بحسب خطة عمل خمسية تبناها مؤتمر نظمته الأمم المتحدة في العاصمة الكينية نهاية العام الماضي وشارك فيه ١٣٠٠ ناشط ودبلوماسي ومندوب من ١٤٤ دولة وقعت معاهدة اوتاوا عام ١٩٩٧ التي تحظر انتاج الالغام الارضية المضادة للافراد أو استخدامها أو بيعها.

فإن الكرة الارضية من المفترض أن تتخلص من هذه الالغام .

ولكن من المفارقات في السياسة الدولية أن تخرج الولايات المتحدة وهي واحدة من بين ١٥ دولة منها روسيا والصين من المفروض أن تدعم برنامج الأمم المتحدة في تقليص الأضرار الناجمة عن هذه الألغام بموقف مغاير تماما وتصر على عدم المصادقة على معاهدة حظر الالغام المضادة للافراد رغم النداء الذي وجهته من نيروبي ١١٤ دولة بهذا الخصوص.

التبرير الامريكي الذي لا يخلو من ازدواجية يرى انها لا تزال بحاجة الى هذا السلاح لحماية قواتها وأن المسألة لا تتعلق بالمصادقة على هذه المعاهدة بل التحرك على الارض لاستئصال هذه الآفة وهو مجال تقول الولايات المتحدة انها تدعم في إطاره الكثير من برامج إزالة الألغام في العالم ومساعدة الضحايا.

المثير أيضا أنها تعهدت بالتخلي بعد عام ٢٠١٠ عن أخطر الألغام وهي تلك التي لها مفعول دائم، لماذا؟ لاعتماد ألغام (ذكية) مجهزة بنظام تدمير ذاتي او بجهاز تفكيك ذاتي!.

الصين أيضا على نفس الخط فهي غير مستعدة للانضمام الى المعاهدة وما زالت تحتفظ باحتياطي كبير من الألغام وكذلك روسيا تزرع بشكل نشط ألغاما مضادة للافراد منذ عام ١٩٩٩ وخاصة في الشيشان.

وإذا كان الاتفاق على المعاهدة قبل سبع سنوات قد ساعد على تراجع عدد ضحايا الالغام الارضية الجدد وتوقف تجارة الالغام المضادة للافراد.

إلا أن البعد الأخلاقي للقضية يفرض تضافر كل الجهود الدولية لوضع بنود الاتفاقية موضع التنفيذ وبالتالي يشكل امتناع الثلاثة الكبار عن التوقيع والانضمام إليها مأزقا خطيرا للضمير العالمي حيث تقتل الألغام او تشوه نحو اربعين شخصا في اليوم وهي لا تزال تمنع مجتمعات بأكملها من العمل للخروج من الفقر.

وبالتالي فالمجتمع الدولي في حاجة إلى شراكة غير منقوصة لمتابعة الجهود لتسوية هذه المشكلة الإنسانية.

جانب آخر لهذا البعد الأخلاقي يرتبط بتطور تقنية هذه الألغام التي أصبحت مسيطرة على الصناعة الحديثه للألغام وبسببها قد يقتل الإنسان القابع في منزله باطمئنان من خلال التحكم عن بعد في تفجير اللغم.

كما أن تحرك اللغم مع التربة أو اللغم البحري مع الامواج والتيارات ليستقر على الشاطيء يسبب تهديدا لكثير من المجتمعات حدث ذلك مع الألغام التي اقتلعتها الأمواج الناجمة عن الزلزال الذي ضرب جنوب شرق آسيا وأثر على سكان المناطق المتاخمة لحقول الألغام في سريلانكا نتيجة الفيضانات التي حطمت حتى إشارات التحذير التي وضعتها السلطات لتحديد مواقع الألغام التي زرعت أيام الحرب لكي يتفاداها الناس .

والواقع أن لغة الارقام تتحدث عن كارثة زراعة الالغام وتوضح بشكل كبير من خلال التقارير الدولية أن هناك ما بين (٦٠) مليونا و١٠٠ مليون لغم ارضي مضاد للافراد تتسبب سنويا بوقوع آلاف الضحايا من المدنيين والعسكريين وفي بعض التقارير العسكرية هناك أكثر من ١٢٠ مليون لغم متنوع تنتشر في حوالي ٧٠ دولة وأن ٤٠٠ ألف لغم يدفن كل اسبوع في العالم وحالات القتل من الالغام كما جاء في تقرير منظمة الصليب الاحمر تتجاوز ٦٠ اصابة قاتلة اسبوعيا.

وهي أرقام وإن كانت متضاربة وغير دقيقة نتيجة السرية التي تحيط بها الدول خرائطها الخاصة بالألغام فهي تكشف عن بعد مهم في الدور الذي تلعبه الألغام كسلاح سري تم التوسع في استغلاله على نطاق واسع في الصراعات الداخلية والعرقية والاثنية وخاصة في مناطق التوتر في العالم النامي لتصبح هذه المشكلة من اعقد المشاكل بعد انتهاء الحروب والصراعات وأشدها تأثيرا على مشاريع التنمية واقتصاديات الدول التي تعاني منها.

فتكلفة صنع اللغم الواحد (دولار واحد) ولكن تكلفة ازالة الالغام وابطال مفعولها فقد تصل تكلفة ابطاله إلى حوالي ٣٠٠٠ دولار، ورغم تطور تقنيات كاسحات الالغام إلا أن هذه التقنيات لم تصل حتى الان الى القدرة الكاملة على إزالة الألغام لأن معدل ازالة الالغام الآن لا يتجاوز الخمسين بالمائة وهي نسبة ضئيلة جدا حيث تزيد التكلفة الاقتصادية بعد إضافة قيمة الوقت والجهد المبذولين في هذه العملية.

أضف إلى ذلك الخسائر الاقتصادية الناجمة عن عدم استغلال الثروات المعدنية في باطن الأرض المزروعة بالألغام وعدم استغلالها أيضا في الزراعة خاصة في مناطق الغابات أو الأراضي الخصبة باعتبار أن الألغام سلاح اقتصادي فعال يحرم الطرف الآخر من الانتفاع بموارده الطبيعية بتحييدها كما يمنعه أيضا من التوسع العمراني حيث لا يستطيع الدخول الى هذه المناطق مما يؤدي الى كثافة سكانية محيطة بحقول الألغام .

والواقع أيضا أنه بعد ستة أعوام من سريان معاهدة اوتاوا التي تحظر استخدام الالغام المضادة للافراد ما زالت الاسلحة المنسية تمثل مشكلة خطيرة في شتى أنحاء العالم.

وفي هذا الخصوص يشير تقرير صدر عن منظمة لاندماين اكشن وهي الفرع البريطاني للحملة الدولية لحظر الألغام إلى أن الحكومات لا تقدم الكثير لازالة القنابل التي لم تنفجر والالغام الارضية المتبقية كما أنه لم يجر تقييم حجم المشكلة كما ينبغي.

أما عن تداعيات هذا الملف على الوطن العربي فالمشكلة كبيرة وخطيرة فقد كان ومازال له النصيب الاكبر من الالغام المزروعة وتتحمل إسرائيل المسؤولية القانونية والأخلاقية عن حقول الألغام التي زرعتها في سيناء والجولان وبيروت إبان الغزو عام ١٩٨٢ وجنوب لبنان حتى إجبارها على الإنسحاب وكذلك عن التبعات الناجمة عن الأضرار والتعويضات وتكاليف الإزالة.

فقد كشف لبنان أن الوثائق الاسرائيلية عن الالغام في جنوب لبنان مغلوطة، بدليل ان هناك ٤٠٠ ألف لغم تضاف الى الرقم الذي اعلن سابقا عن عدد هذه الالغام (١٣٠ ألفا) فيصبح العدد ٥٣٠ ألفا..

وبحسب أرقام أعلنتها الوحدة الأوكرانية العاملة في نطاق قوات الطوارئ الدولية والمكلفة بإزالة الألغام في جنوب لبنان فإن معظم الخرائط التي حصلت عليها الوحدة الدولية من القوات الإسرائيلية هي غير دقيقة وأن هناك عشرات الحقول على امتداد ١٢٣ كيلومترا في المناطق الجنوبية تخبئ عشرات الألوف من الألغام التي زرعتها إسرائيل في محيط مواقعها أو على جوانب الطرق القريبة من الحدود قبل انسحابها حيث ترفض تسليم الخرائط الحقيقية حتى اليوم.

كما أن مشكلة قرية مجدل شمس السورية في الجولان المحتل فهي تجسد تماما مأساة سكان تحت الاحتلال يحرمهم المحتل من كافة الحقوق التي تكفلها اتفاقيات جنيف حيث تصر إسرائيل على إبقاء حقول الألغام وسط القرية وبين مساكنها تنشر وتزرع الرعب والموت في كل لحظة دون أدنى اهتمام بنصوص اتفاقية أوتاوا.

لكن المشكلة الاكبر في الوطن العربي هي مشكلة الالغام المصرية التي تركتها الدول المتحاربة في الحرب العالمية الثانية حيث يقدر عدد الألغام هناك بـ ٢٤ مليون لغم وهذا يعتبر أكبر تجمع للألغام في العالم داخل بلد واحد او لنقل حقل واحد، ولعل ثلثي هذه الالغام تتجمع في الصحراء الغربية حيث كانت معركة العلمين.

وعلى الرغم أيضا من المسؤولية القانونية والأخلاقية للدول المتحاربة في الحرب العالمية الثانية وخاصة بريطانيا والمانيا فإن المطالبات المصرية بإزالة ١٧,٥ مليون لغم ارضي تواجه بمماطلات فقد حملت بريطانيا الالمان مسؤولية هذه الالغام، بينما يقول الالمان انهم كانوا في حالة هجوم وهم ليسوا بحاجة الى زراعة الألغام.

ومع إصرار مصر على المطالبة بإزالتها نظرا لاستراتيجية موقع منطقة العلمين وثرواته المعدنية والنفطية المحتملة واهميتها كموقع سياحي مميز أو كمنطقة اسكان مثالية وقابليتها للزراعة على الأمطار الشتوية تظل العقبة الرئيسية للأسف هي رفض دول التحالف المشاركة في معركة العلمين التي لم تكن مصر طرفا فيها.. ولم يكن لها بالحرب ناقة ولا جمل –بعد مضي أكثر من ستين عاما– على انتهائها تسليم خرائط الالغام المزروعة في تلك المنطقة، أو ضياع تلك الخرائط مع مرور الوقت رغم أن القانون الدولي واتفاقية جنيف تلزم تلك الدول التي قامت بزرع الالغام بإزالتها.

هناك أيضا مشكلة الألغام في جنوب السودان بعد توقيع اتفاق السلام الذي أنهى أطول حرب أهلية في القارة الافريقية وهي تشكل أيضا عائقا أمام تنمية الجنوب وتطوير مناطقه.

لقد حان الوقت لكي يفكر العالم بأن يضع نهاية للجوء إلى سلاح يتسم بالغدر ويغتال في الخفاء وأن يضع كل من يزرع لغما في اعتباره أنه ربما ينفجر فيه عندما يأتي يوما ليشارك في إزالته وهذا غير مستبعد!.